

دفن "النكبة": كيف أخفت "إسرائيل" أدلة طرد العرب عام 1948؟



عن الصحافة العبرية، تعليق وتدقيق خالد غنام

مركز الانطلاقة للدراسات 2023م

دفن "النكبة": كيف أخفت "إسرائيل" أدلة طرد العرب عام 1948؟

(تقوم فِرَق وزارة الدفاع الإسرائيليّة بتمشيط الأرشيفات الإسرائيليّة وإزالة الوثائق التاريخيّة. غير أنّ ما يُخفى ويُدرج في الخزائن لا يقتصر على الأوراق المتّصلة بمشروع إسرائيل النوويّ أو العلاقات الخارجيّة للبلاد، إذ تمّ التستّرّ على مئات الوثائق كجزءٍ من جهودٍ منظّمة لإخفاء أيّ أدلة على النكبة).

بقلم هاجر شزاف¹ HAGAR SHEZAF

نشرتها في موقع جريدة هآرتس الإلكتروني² يوم 2019/7/5

وقام بترجمتها للعربية موقع على الدرج الإلكتروني³ يوم 2019/7/19

تعليق وتدقيق خالد غنام - مركز الانطلاقة للدراسات يوم 2023/1/22

منذ أربع سنوات مضت، صُعقت المؤرّخة الإسرائيليّة تامار نوفيك Tamar Novick إثر مطالعتها وثيقة وجدتها في ملف يوسف واشيتس Yosef Waschitz، من القسم العربيّ في حزب مابام اليساريّ⁴، في أرشيف "ياد يعاري⁵ Yad Yaari" في "جبعات حبيبة⁶ Givat Haviva". بدأت الوثيقة - التي بدا أنّها تصف أحداثاً وقعت في حرب 1948،

<https://www.journalismfund.eu/journalists/hagar-shezaf> -1

<https://www.haaretz.com/israel-news/2019-07-05/ty-article-magazine/premium/how-israel-systematically-hides-evidence-of-1948-expulsion-of-arabs/0000017f-f303-d487-abff-f3ff69de0000> -2

<https://daraj.media/19881> -3

4- الحزب الاشتراكي الصهيوني، مابام (حزب العمال المتحد) كان ثاني أكبر حزب سياسي في السنوات الأولى للدولة. انضم مابام إلى التحالف العمالي من 1969 إلى 1984، وتنافس بشكل مستقل في عام 1988. في عام 1992، شكل مابام قائمة مشتركة مع حزبي راتز Ratz وشينوي Shinui، وأطلقوا عليه اسم "ميرتس Meretz". كان القاسم المشترك بين الثلاثة هو دعوتهم إلى اتفاق مع الفلسطينيين على أساس تسوية إقليمية، وإقامة دولة فلسطينية، وحقوق مدنية وإنسانية، وفصل الدين عن الدولة. انضمت ميرتس إلى الائتلاف الحاكم مع حزب العمل بقيادة يتسحاق رابين. في عام 1997، لم يعد مابام موجوداً رسمياً حيث اندمج مع راتز وجزء من شينوي لإعادة إنشاء ميرتس كحزب سياسي موحد. ترأس ميرتس شولاميت ألوني Shulamit Aloni (1991-1999) ويوسي ساريد Yossi Sarid (1999-2003). ترشحت ميرتس في انتخابات الكنيست السادسة عشرة في قائمة واحدة مع الاختيار الديمقراطي وشهار Democratic Choice and Shavar، وفي سياق الكنيست السادسة عشرة غيرت اسمها إلى "ياحد والاختيار الديمقراطي Yahad and the Democratic Choice". <https://www.jewishvirtuallibrary.org/mapam-political-party>

5- ياد يعاري هو مركز الأبحاث والتوثيق التابع لحركة هكيوتس هارزي هاشومير هاتسير. يعمل ياد يعاري في إطار حفتسلت - المؤسسات التعليمية والثقافية في هشومير حنصير.

يتألف مركز ياد يعاري من قسمين متميزين: قسم المحفوظات وقسم البحوث. يركز كلا القسمين على التاريخ والقضايا الحالية لحركة الكيبوتس، وحركات الشبابية الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي. تأسست ياد يعاري في عام 1983 بهدف صريح هو الحفاظ على الذاكرة الجماعية للحركة وتمييزها بأوسع معانيها. الأهداف الرئيسية (1) الحفاظ على الذاكرة الجماعية للحركة. (2) غرس تراث قيمها ونشر المعلومات عن أنشطتها. (3) البحث في مسارها الاجتماعي والأيديولوجي. (4) التصدي لمحاولات طمس طابعها الجوهري أو دحض إنجازاتها. <http://www.communia.org.il/icsa/index.php/en/allcategories-en-gb/uncategorised/yad-yaari>

6- جبعات حبيبة هي مؤسسة غير ربحية تأسست عام 1949 كمركز قطري للتربية تابع لحركة الكيبوتسات القطرية. تُركز المؤسسة على تعزيز التكافل المتبادل، والمساواة المدنية والتعاون بين المجتمعات المتنازعة، كأساس لبناء المستقبل المشترك والمجتمع المشترك - العناصر الضرورية للديمقراطية الإسرائيلية المستدامة والمزدهرة. بغية تحقيق هذه الأهداف يعمل مركز المجتمع المشترك في جبعات حبيبة على تشجيع المجتمعات المنقسمة للعمل معاً من أجل تحقيق غاياتها المشتركة، من خلال عمليات التفاعل والدعم والتمكين المتبادلة. تقوم بذلك عبر توجيه المشاريع المشتركة بين المجتمعات المحلية؛ الإرشاد التوجيهي والنشاطات التتموية للقرات؛ عقد أيام دراسية، ورشات عمل ومؤتمرات لتطوير الأفكار التطبيقية الداعمة للتغيير؛ وترجمة الأفكار وتطبيقها على أرض الواقع. حصلت جبعات حبيبة، بصفتها مؤسسة رائدة في مجالها، على جائزة منظمة اليونسكو للتربية على السلام بفضل نشاطاتها طويلة المدى لتعزيز الحوار العربي اليهودي والمصالحة. يصبو مركز المجتمع المشترك إلى بناء مجتمع شامل ومتماسك في إسرائيل، عبر إشراك

بالقول: "في قرية صفصاف (قرية فلسطينية مهجرة قرب مدينة صفد)⁷، ألقى القبض على 52 رجلاً وقيدوا معاً، ثم حُفرت حفرة وأطلقت عليهم النيران. ظلّ عشرة منهم يرتعشون، فجاءت النساء يستعطفن من أجل الرحمة. عُثر على جثث لستة رجال من كبار السن. وكانت هناك 61 جثة وثلاث حالات اغتصاب، واحدة شرق صفد؛ فتاة في الرابعة عشرة من العمر، و4 رجال أطلق عليهم الرصاص وقُتلوا. إحدى الجثث قُطعت منها أصابع اليد بالسكين لانتقال الخاتم منها".

يمضي الكاتب في وصف المجازر والنهب والانتهاكات الإضافية التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في حرب النكبة "الاستقلال الإسرائيلية". ذكرت تامار نوفيك لصحيفة "هآرتس": "لا يوجد اسم في الوثيقة وليس من الواضح من يقف وراءها". تنقطع الوثيقة في منتصفها؛ وأجد ذلك أمراً مزعجاً للغاية. أعلم أنّ العثور على وثيقة مثل هذه يجعلني مسؤولاً عن توضيح ما قد حدث".

استولى الجيش الدفاع الإسرائيلي على قرية صفصاف، في الجليل الأعلى، في عملية حيرام نهاية عام 1948؛ وأنشئت على أنقاضها موشاف صفصوفة⁸ Moshav Safsufa. أثرت مزاعم على مدار الأعوام الماضية حول ارتكاب "اللواء السابع" جرائم حرب في القرية. تدعم تلك الاتهامات الوثيقة التي عثرت عليها نوفيك، وهي وثيقة لم تكن معروفة من قبل لدى العلماء والباحثين؛ وقد تمثل أيضاً دليلاً إضافياً على أنّ كبار الضباط الإسرائيليين كانوا على علم بما كان يحصل في حينه.

قررت نوفيك استشارة مؤرخين آخرين بشأن الوثيقة. أخبرها بيني موريس Benny Morris⁹، الذي تعدّ كتبه مراجع أساسية في دراسة "النكبة"، وهي كلمة توحى بالكارثية والمصيبة يستخدمها الفلسطينيون في الإشارة إلى التهجير الجماعي للعرب من البلاد أثناء

المجمعات المنقسمة في العمل الجماعي من أجل تعزيز ديمقراطية إسرائيلية مزدهرة ومستدامة، والتي تقوم على أساس التكافل المتبادل، والمساواة المدنية ورؤية مشتركة للمستقبل.

<https://www.qivathaviva.org.il/index.php?dir=site&page=content&cs=5126>

7- في 29 تشرين الأول/أكتوبر عام 1948، أطلقت العصابات الصهيونية عملية "حيرام"، التي هدفت خلالها إلى الاستيلاء على الجليل الأعلى (الجزء الشمالي لمنطقة الجليل)، بقيادة الإرهابي موشيه كرمل. كانت الصفصاف أولى القرى التي احتلت في عملية "حيرام" الإرهابية. وكانت القرية، خلال الشهر الأول من النكبة، مقر قيادة فوج اليرموك الثاني الذي كان يقوده المقدم أديب الشيشكلي، بحسب المؤرخ الفلسطيني عارف العارف. هاجمت القرية فصيلة مصفحات وسرية مجنزرات من اللواء السابع للعصابات الصهيونية الإرهابية واحتلتها بعد معركة قصيرة. روى أحد شهود العيان أنه لما بدأ الهجوم على القرية كان المدافعون عنها متأهبين، إلا أنهم فوجئوا بهجوم مثلث الجبهات، فيما قال أحد الجنود لاحقاً: "لم تكن نتوقع مقاتلتهم على ثلاث جبهات.. ولما لم ينضم إلى المعركة أي من الجيوش العربية، انسحبنا مع متطوعي جيش الإنقاذ العربي إلى لبنان، وقد تركنا في القرية معظم سكانها، وكثيرين من القتلى والجرحى". <https://www.palestineremembered.com/Safad/Safsaf/ar/index.html>

8- يطلق عليها أيضاً اسم كفار حوشين. وقد تأسس الموشاف عام 1949 من قبل مهاجرين من بلغاريا إلى إسرائيل وبدعم من حركة الموشافيم. كانت الأرض في السابق مملوكة لقرية صفصاف الفلسطينية، التي فر سكانها إلى لبنان بعد مذبحه صفصاف في أكتوبر 1948 خلال الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948. تمت إضافة مزيد من اليهود في السنوات الأولى لتأسيس إسرائيل من قبل المهاجرين اليهود من اليمن وعدن، وبدءاً من عام 1953 جاء مهاجرون من المغرب وتونس أيضاً. الاسم الأصلي "صفصوفة" هو اسم مطابق موجود في التلمود، واسمه محفوظ في قرية صفصاف. الكلمة العبرية "صفصاف" تعني منطقة تتضج فيها الثمار في وقت متأخر عن المعتاد.

https://en.wikipedia.org/wiki/Kfar_Hoshen

9- هو مؤرخ إسرائيلي ولد سنة 1948 ينتمي إلى تيار المؤرخين الجدد الذين قاموا بإعادة كتابة التاريخ الإسرائيلي الحديث ويعتبر موريس من أكثر الشخصيات المؤثرة في هذا الوسط. وفي عام 2016 أصدر كتاباً جديداً تحت عنوان "من دير ياسين إلى كامب ديفيد" كُشف فيه النقاب عن آرائه العنصرية، إن لم تكن الفاشية، علماً أنه كان حتى قبل عدة سنوات، ممثلاً لما يُطلق عليه اليسار الصهيوني، وحتى أنه رفض خدمة الاحتياط عام 1986 في الضفة الغربية لأنها منطقة مُحْتَلة. <https://www.raialyoum.com> / المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس: كان علينا طرد جميع الفلسطينيين في الـ48 وقتل العرب لبعضهم يُرحني وأكبر خطأ لنتناهاو عدم مُهاجمة إيران وجميع المسلمين يؤمنون بالدولة الإسلامية"

حرب 1948، أنه أيضاً عثرَ على وثائق مشابهة في الماضي. وكان بهذا يشير إلى مسودات كتبها آهارون كوهين¹⁰، عضو اللجنة المركزية في حزب ما بام، ارتكازاً على إحاطة أدلى بها، في تشرين الثاني/ نوفمبر 1948، يسرائيل غاليلي¹¹ Yisrael Galili قائد الأركان السابق في ميليشيات الهاجاناه¹²، التي تحوّلت لاحقاً إلى "جيش الدفاع الإسرائيلي". في هذا المثال، تشير مسودات كوهين، التي نشرها موريس، إلى أنّ "52 رجلاً من قرية صفصاف قُبِدوا بحبل، وألقوا في حفرة ثم أُطلقت عليهم النيران. قُتل منهم 10، واستجذت النساء الرحمة. وكانت هناك 3 حالات اغتصاب. أُلقي القبض على البعض ثم أُطلق سراحهم. اغتصبت فتاة في الرابعة عشرة من العمر. قُتل أربعة آخرون. انترعت الخواتم من أصابع اليد بالسكاكين."

تنص حاشية موريس (في كتابه الأساسي بعنوان "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين 1947-1949") إلى أنّ هذه الوثيقة وُجِدَت أيضاً في أرشيف "ياد يعاري". إلا أن نوفيك فوجئت باختفاء الوثيقة حين عادت إلى الأرشيف لفحصها.

تتذكر نوفيك قائلةً "في البداية اعتقدت أنّ موريس ربّما لم يكن دقيقاً فيما كتبه في الحاشية، لدرجة أنه ربّما قد يكون أخطأ. استغرق الأمر وقتاً كي أخذ في الاعتبار إمكان أن تكون الوثيقة – ببساطة – قد اختفت". وحين سألت القائمين على الأمر عن مكان الوثيقة، أخبروها أنها وُضعت في مكانٍ مغلق في أرشيف "ياد يعاري"، بأمرٍ من وزارة الدفاع.

منذ بداية العقد الماضي، تقوم فرقة وزارة الدفاع الإسرائيلية بتمشيط الأرشيفات الإسرائيلية وإزالة الوثائق التاريخية. غير أنّ ما يُخفى ويُدرج في الخزائن لا يقتصر

10- ولد العام 1910 في بسارابيا. وهو مستشرق ومن نشطاء (هشومير هتسعير) والكيبوتس القطري و(ما بام). هاجر إلى فلسطين عام 1929 حيث درس اللغة العربية والتاريخ العربي والإسلامي. نادى بالتعايش العربي - اليهودي، ودعا إلى إقامة دولة ثنائية القومية في فلسطين. كان عضواً في الهيئة التي دعت إلى تقوية وتعميق التعاون والعلاقات بين اليشوف والاتحاد السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية، وعرفت هذه الهيئة باسم (هيئة واي) (إشارة إلى علامة النصر فيكتور في الإنكليزية). من المبادرين إلى تأسيس حزب (ما بام) ثم ترأس الدائرة العربية في هذا الحزب، وبعد الانشقاق في (ما بام) ومؤسسات الحزب وجد نفسه بعيداً عن العمل السياسي، فأخذ ينشر مقالاته وبحثاته في جريدة (عال همشمار). اعتقلته السلطات الإسرائيلية العام 1958 بتهمة إقامته علاقات مشبوهة مع وكيل مخابرات سوفييتي التقاه مرات عديدة، وصدرت المحكمة المركزية في حيفا حكماً بسجنه مدة خمس سنوات، إلا أن الحكم خفف بعد تقديم استئناف إلى المحكمة العليا إلى سنتين ونصف، وصدّر عنه عفو من الرئيس الإسرائيلي بعد أن أمضى 17 شهراً في السجن. نشر كوهين عدة دراسات تتعلق بتاريخ العرب والإسلام والشرق الأوسط، ترجم عدد منها إلى اللغة العربية. توفي العام 1980 في كيبوتس شاعر همعكميم.

<https://www.madarcenter.org/> كوهين، آهارون

11- يسرائيل غاليلي، الاسم الأصلي إسرايل بيرزنيكو، (مواليد مايو 1911، برايلوف، أوكرانيا، الإمبراطورية الروسية [الآن في أوكرانيا] - توفي في 8 فبراير 1986، كيبوتس نعان، إسرائيل)، روسي المولد القائد السياسي للهاغاناه: قوة دفاع قبل استقلال إسرائيل. عندما كان غاليلي في الرابعة من عمره، انتقلت عائلته إلى فلسطين. كان ناشطاً في قوات الدفاع عن النفس ومنظماً لحركة الشباب في الهستدروت عندما لم يكن في سن المراهقة. في عام 1930 أسس كيبوتس نعان، الذي كان بمثابة مستودع أسلحة للهاغاناه. بعد استقالته من القيادة العليا للهاغاناه في عام 1948، أسس الحزب اليساري Ahdut ha-Afoda – Po'ale Tziyon ("وحدة العمل - عمال صهيون")، والذي أداره حتى انتمج مع عدة أحزاب أخرى لتشكيل حزب العمل في عام 1963. خدم غاليلي في الحكومة كوزير للإعلام. كما الرجل المسؤول الرئيسي عن سياسة حزب العمل في الأراضي التي احتلتها إسرائيل خلال حرب الأيام الستة عام 1967. بعد تركه السياسة عام 1980، كرس غاليلي وقته للبرامج التعليمية في الكيبوتس الخاص به.

<https://www.britannica.com/biography/Yisrael-Galili>

12- هاغاناه أو الهاغاناة (من العبرية הגנה أي الدفاع) هي منظمة صهيونية تأسست في عام 1921 في مدينة القدس وكان الهدف من تأسيسها الدفاع عن أرواح وممتلكات المستوطنات اليهودية في فلسطين خارج نطاق الانتداب البريطاني. وبلغت المنظمة درجة من التنظيم مما أهلها لتكون حجر الأساس لجيش إسرائيل الحالي. وساهمت الهاغاناه في إنشاء 50 من المستوطنات اليهودية في فلسطين وتهجير الفلسطينيين من ديارهم أثناء حرب النكبة.

<https://www.marefa.org/%D9%87%DA%AF%D8%A7%D9%86%D8%A7%D9%87>

على الأوراق المتصلة بمشروع إسرائيل النوويّ أو العلاقات الخارجية للبلاد، إذ تمّ التسترّ على مئات الوثائق كجزءٍ من جهودٍ منظّمة لإخفاء أيّ أدلة على النكبة.

اكتُشِف الأمر بدايةً، من خلال معهد أكيفوت لأبحاث الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي¹³. ووفق تقريرٍ أعدّه المعهد، يقود هذه العملية جهاز مالاب¹⁴ Malmab، وهو إدارة أمنية سرّية في وزارة الدفاع (واسمها هو الاختصار العبري لجملة "مدير أمن المؤسسة الدفاعية")؛ فنشاطها وميزانيتها سرّيان. يؤكّد التقرير أنّ جهاز مالاب أزال وثنائق تاريخية بشكل غير قانوني، من دون سلطة تخولها القيام بهذا. وقامت بعزل وإغلاق بعض الوثائق التي سبق تحريرها وإعادتها للنشر من قِبَل الرقابة العسكرية. وقد نُشرت بالفعل بعض الوثائق التي أُدرجت في الخزائن .

وجد تقرير استقصائي أجرتة "هآرتس" أنّ جهاز مالاب أخفى شهاداتٍ لقادة في "جيش الدفاع الإسرائيلي" عن حالات قتل مدنيين وهدم وإزالة القرى، إضافةً إلى توثيقات عملية طرد البدو أثناء العقد الأول من إنشاء الدولة اليهودية. وكشفت حوارات مع مديري الأرشيفات العامة والخاصة، أنّ موظفي الإدارة الأمنية تعاملوا مع الأرشيفات وكأنّها ملكية خاصة.

في تصريحاتٍ لصحيفة "هآرتس"، أقرّ يحنئيل حوريف Yehiel Horev – الذي أدار جهاز مالاب لعقدين من الزمن حتّى عام 2007 – أنّه هو من بدأ المشروع الذي لا يزال قائماً. ويؤكّد على أنّه من المنطقي إخفاء أحداث عام 1948، لأنّ الكشف عنها قد يؤدي إلى خلق حالة من التوتر والاضطرابات بين السكّان العرب في البلاد. وعند سؤاله عن مغزى إزالة الوثائق التي نُشِرت بالفعل، شرح لنا أنّ غرضَ هذا هو تقويض صدقية الدراسات حول تاريخ قضية اللاجئين. من وجهة نظر حوريف، فإنّ الادعاء الذي قدمه الباحث والمدعوم بمستند أصلي يختلف عن الادعاء الذي لا يمكن إثباته أو دحضه.

"وبحسب وثيقة من عام 48 فإن 70٪ من العرب غادروا نتيجة العمليات العسكرية اليهودية".

13- تأسس معهد أكيفوت لأبحاث الصراع الإسرائيلي الفلسطيني Akevit Institute for Israeli-Palestinian Conflict Research في عام 2014 من منطلق الاعتراف بالدور الفريد الذي يمكن أن تلعبه الأرشيفات في كسر الأساطير التي تعزز الصراع، وتعزيز الخطاب القائم على الحقائق، ودعم عمل المدافعين عن حقوق الإنسان. وجعل الأرشيف أداة للتغيير من خلال البحث وكشف الآليات والعمليات والأحداث التي تلعب دوراً في إدامة الصراع. وهم مستعدون لمساعدة المدافعين عن حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني في الوصول إلى الوثائق الأرشيفية ذات الصلة بعملهم. وهم يقومون بحملة لتوسيع وصول الجمهور إلى المحفوظات الحكومية لتعزيز الشفافية وحرية المعلومات.

<https://www.akevit.org.il/en/about/#section/0>

14- منظمة أمنية تم تأسيسها في عام 1958، تحت قيادة حاييم كرمون، ضابط الشاباك السابق تقوم بالتحقيق في مراقبة العاملين في الأجهزة الأمنية والعسكرية والتدقيق الأمني لموظفي الحكومة وإصدار الشهادات لتقنية ومنع تسرب المعلومات السرية، وكشف أي فساد إداري. تعمل مالاب أيضاً كوكالة استخبارات - حيث يدير مالاب عملاء مسؤولين لهم صلاحية التعامل مع المعلومات التقنية والاستخباراتية في البلدان الأجنبية. Historical Dictionary of Israeli Intelligence By Ephraim Kahana page 77-83

مذكرات كوهين

ربما تكون الوثيقة التي كانت تبحث عنها نوفيك قد عززت عمل موريس. خلال التحقيق، تمكنت صحيفة "هآرتس" في الواقع من العثور على مذكرات أهارون كوهين، التي لخصت اجتماعاً للجنة السياسية في حزب مابام حول قضية المجازر وعمليات التهجير عام 1948. دعا المشاركون في ذلك الاجتماع إلى التعاون مع لجنة التحقيق التي كانت ستحقق في الأحداث. تعلقت إحدى الحالات التي ناقشتها اللجنة "بالأعمال الخطيرة" التي نُفذت في **قرية الدوابمة**¹⁵، شرق كريات جات. في هذا السياق، أشار أحد المشاركين إلى ميليشيات ليحي السرية¹⁶، التي كانت حُلَّت حينها. وأشار أيضاً إلى أعمال النهب والسلب، بالقول إنّه "لم يبقَ متجرٌ عربيّ في اللدّ والرملة وبئر السبع إلا واقْتَحِمَ ونُهب. ألقى اللواء التاسع باللائمة على اللواء السابع، الذي ألقاها بدوره على اللواء الثامن".

مع قرب نهايتها، تشير الوثيقة إلى أنّ "الحزب يعارض عمليات الطرد والتهجير إن لم تكن هناك ضرورة عسكرية لذلك؛ وهناك مقاربات مختلفة فيما يتعلّق بكيفية تقدير تلك الضرورة؛ ويحدّد إضافة المزيد من التوضيحات في هذا الصدد. ما حدث في الجليل ليس سوى تصرفات نازية؛ وعلى جميع أعضائنا الإبلاغ عمّا يعرفونه".

الرواية الإسرائيلية

إحدى أكثر الوثائق جاذبية عن أصول قضية اللاجئين الفلسطينيين هي وثيقة كتبها ضابط في وحدة "خدمة المعلومات - شاي"¹⁷، وهي سلف جهاز الأمن العام الإسرائيلي "شاباك". تناقش تلك الوثيقة أسباب تفريغ البلاد من سكّانها العرب، مع تفصيلٍ عن ظروف كلّ قرية على حدة. صنّفت الوثيقة عام 1948، وكان عنوانها "هجرة العرب من فلسطين".

كانت هذه الوثيقة ركيّزةً مقالة نشرها بيني موريس عام 1986. بعد نشر المقالة أُزيلت الوثيقة من الأرشيف وتعدّرت على الباحثين الوصول إليها. بعد سنواتٍ أعاد فريق جهاز المابام فحص الوثيقة، وأعطى أوامره بأن تظّل سرّية. ما كان لهم أن يعرفوا أنّه بعد سنواتٍ قليلة

15- تُعتبر منبحة الدوابمة، من كبرى المجازر التي حفلت بها حرب 1948، وربما كانت أكبرها وأروعها. وما كان يميزها من منبحة مثل منبحة دير ياسين التي نفذتها منظمات صهيونية ميليشياوية في 9 نيسان/ أبريل، هو أنه في حالة الدوابمة، نفذتها قوات عسكرية نظامية وذو قدرة تخطيطية عملية، بعد أن وطدت الدولة الجديدة أركانها وسعت لاعتراق دولي بها وتهيأت لتقديم طلب الانضمام إلى الأمم المتحدة والتعهد باحترام جميع الالتزامات التي ينص عليها ميثاقها. من جهة أخرى، وبخلاف حالة دير ياسين، لم تتبع منبحة الدوابمة في حينه حملات فلسطينية-عربية تندد بها، ولم يجر التعامل البحثي-الإعلامي مع حجمها ومجرباتها إلا بعد أكثر من ثلاثة عقود.

16- لوهامي جيروت يسرايل (ليحي) (Lehi (Lohamei Herut Yisrael) انشقت عن مجموعة أرغون السرية عندما دعت إلى ضرورة إنهاء القتال مع البريطانيين في عام 1940. استخدم ليحي القوة، وتفجير طرق النقل والمواقع الاستراتيجية الأخرى واغتيال المسؤولين البريطانيين، للضغط على البريطانيين لمتابعة إقامة دولة يهودية. حاول أعضاء منظمة ليحي، الذين أدانهم معظم القادة اليهود لأعمالهم العنيفة، البقاء تحت الأرض خوفاً من التعرض للاعتقال. وكانوا من أكثر الجماعات الإرهابية عنفاً في حرب النكبة.

<https://jwa.org/encyclopedia/article/lehi-lohamei-herut-yisrael>

17- أسس شاي Shai, information service نفسه بشكل ملحوظ خلال سنوات ما قبل تأسيس إسرائيل، وكان أحد قادته هو إيسر هاريل ("العسر الصغير")، الذي ترأس لاحقاً الشاباك (وكالة الأمن الإسرائيلية) والموساد. عملت بقية المنظمات بشكل مستقل، وركزت على جمع المعلومات التي تخدم نشاطها الأمنية. وهو جهاز انبثق عن منظمة شروت يديعوت في 1934 لتوفير المعلومات الاستخباراتية لقيادة يشوف (المنظمات الصهيونية العاملة في فلسطين الانتدابية) بسبب خلافها السياسي - العسكري مع الفلسطينيين وسلطات الانتداب.

لاحقة سيجد باحثون من معهد أكيوت نسخة منها وأنهم سيستطلعون رأي الرقيب العسكري فيها، فيجيز نشرها. واليوم، بعد سنواتٍ من التعتيم، تكشف هنا عن لب تلك الوثيقة.

الحقيقة المرّة

تبدأ الوثيقة المكوّنة من 25 صفحة بمقدّمة تقرّ من دون خجل بإخلاء القرى العربيّة من سكّانها. ووفقاً لكاتب الوثيقة، شهد شهر نيسان/ أبريل "زيادةً كبيرة في حالات الهجرة"، فيما كان أيار/ مايو "مباركاً بإخلاء أكبر عدد من الأماكن". ثم يُعالج التقرير "أسباب الهجرة العربيّة". بحسب الرواية الإسرائيليّة، التي انتشرت على مدار السنين الماضية، تقع مسؤوليّة "هجرة العرب من إسرائيل" على عاتق السياسيين العرب الذين شجّعوا السكّان على الرحيل. **غير أنّ 70 % من العرب الذين هاجروا، وفق الوثيقة نفسها، كانت هجرتهم نتيجة للعمليات العسكريّة اليهوديّة.**

يُرتب كاتب الوثيقة المجهول، أسباب رحيل العرب طبقاً لأهميّتها. **السبب الأول** هو "أفعال العداء اليهوديّة المباشرة ضدّ أماكن الاستقرار العربيّ". **أمّا السبب الثاني** فهو تأثير تلك الأفعال على القرى المجاورة. **والسبب الثالث** فهو "العمليات التي تقوم بها حركتين منشقّتين"؛ هما الإرغون¹⁸ وليحي السريّتان.

أمّا السبب الرابع لخروج العرب من البلاد فهو الأوامر التي أصدرتها المؤسسات "وعصابات"¹⁹ العربيّة (كما تصف الوثيقة كل الجماعات العربيّة المقاتلة). **خامس** تلك الأسباب هو "التهامس: نشر الإشاعات الصهيونية لترهيب المدنيين بعنف العمليات اليهوديّة"، لدفع السكّان العرب إلى الفرار". ثم يأتي العامل السادس والأخير وهو "إنذارات الإخلاء".

يؤكّد الكاتب على أنّ "العمليات العدائيّة كانت السبب الرئيسيّ لهجرة السكّان". إضافةً إلى ذلك، "أثبت استخدام مكبّرات الصوت باللغة العربيّة فعاليته عند فعل ذلك بشكل صحيح". أما بالنسبة إلى عمليات الإرغون وليحي، فيلاحظ التقرير أنّ "كثيرين في قرى الجليل الأوسط بدأوا الفرار عقب أسر وجهاً **قرية "الشيخ مؤنس:** [قرية شمالي تل أبيب]". عرّف العرب حينها أنّه ليس كافياً عقد اتفاقية مع الهاجاناه، وأنّ هناك يهوداً آخرين [أي الميليشيات المنشقة] يجب الحذر منهم".

18- إرغون أو أرجون زفاي لومي (Irgun Zvai Leumi: المنظمة العسكرية الوطنية) وتسمى اختصاراً إيتزل Etzel، وهي كانت حركة سرية يهودية يمينية في فلسطين الانتدابية، تأسست في عام 1931. في البداية بدعم من العديد من الأحزاب الصهيونية غير الاشتراكية، من أجل معارضة الهاغاناه، أصبحت في عام 1936 أداة لحزب الصهيونية التصحيحية امتداد لمشروع زنيف جابوتنسكي التحالف الصهيوني التصحيحي الذي تأسس عام 1925، وهي جماعة قومية متطرفة انفصلت عن المنظمة الصهيونية العالمية ودعت سياساتها إلى استخدام القوة، إذا لزم الأمر، لإقامة دولة يهودية على جانبي نهر الأردن.

https://www.knesset.gov.il/vip/jabotinsky/eng/Revisionist_frame_eng.html

19- قوات الجهاد المقدس التابعة للحاج أمين الحسيني وفرق المتطوعين العرب قُدر عارف العارف عددهم 8 آلاف مقاتل مسلح.

ويشير الكاتب إلى أن الإنذارات النهائية للمغادرة كانت تستخدم بشكل خاص في وسط الجليل، وأقل من ذلك في **منطقة جبل جلبوع**. "بطبيعة الحال ، جاء فعل هذا الإنذار، مثل تأثير" النصيحة الودية"، بعد تحضير معين للأرض عن طريق الأعمال العدائية في المنطقة."

يصف ملحق في الوثيقة الأسباب الخاصة لهجرة عشرات المواقع العربية: فذكر أن "تدميرنا القرية" أي **قرية عين الزيتون**، وتلى "المضايقات والتهديد بشن هجوم" على **قرية قيطية**، ثم "هجومنا، وقتل الكثيرين" في **قرية المنية**، كما أننا تحدثنا "بشكل ودي، ونصائح يهودية" لإخلاء **قرية الطيرة**، إلا أن هناك حوادث خارجة عن السيطرة مثل "عمليات سطو ونهب وقتل قامت بها الميليشيات المنشقة" التي تعرض لها **عرب العمارير**، ولما تباطأ العرب في الخروج أعلننا "إنذارنا النهائي" **لقرية سمسم**، كما قمنا "بالهجوم على دار أيتام" في قرية **بير سالم**، و"الهجوم والاستيلاء على **قرية زرنوقة** وطردها سكانها".

مجموعة من المتفجرات

في أوائل العقد الأول من القرن الحالي، أجرى مركز إسحاق رابين سلسلة من المقابلات مع شخصيات عامة وعسكرية سابقة في إطار مشروع لتوثيق أنشطتهم في خدمة الدولة. لكن صادرت إدارة الأمن السرية لوزارة الدفاع الإسرائيلية (مالماب) على هذه المقابلات أيضاً. قارنت "هأرتس" النصوص الأصلية لتلك المقابلات –التي استطاعت الحصول على الكثير منها– بالنصوص المتاحة حالياً، بعدما صُنفت أجزاء كبير منها على أنها وثائق سرية.

من بينها على سبيل المثال مقاطع من شهادة العميد – المتقاعد – آريه شاليف Aryeh Shalev حول ترحيل سكان **قرية قال إن اسمها "صبرا"**²⁰ إلى خارج الحدود. وحُذفت السطور التالية فيما بعد من نص المقابلة، "حدثت مشكلة خطيرة للغاية في القرية. فقد أراد لاجئون العودة إلى قراهم في **منطقة المثلث** – وهي تجمع مدن وقرى عربية شرق إسرائيل. لكننا طردناهم. وقد قابلتهم لإقناعهم بعدم العودة. ولدي وثائق حول هذه الواقعة."

وفي حالة أخرى، قرر جهاز مالماب حجب الجزء التالي من مقابلة أجراها المؤرخ بوعز ليف توف Boaz Lev Tov مع اللواء المتقاعد إعاد بيليد Elad Peled:

ليف توف: "هل نتحدث عن جميع السكان، بما في ذلك النساء والأطفال؟"
إعاد بيليد: نعم. الجميع... الجميع.
ليف توف: ألم تفرق بينهم؟"

20- أتوقع أن الاسم الأدق هو قرية السمرا قضاء طبرية: يذكر المؤرخ الإسرائيلي بني موريسون السمرا أخليت جزئياً في 21 نيسان /أبريل عام 1948 من جراء سقوط مدينة طبرية، ومن بقي من سكان السمرا وغيرها من القرى تعرضوا، بين سنة 1949 وسنة 1956 لحملة منظمة لحملهم على الرحيل. كانت القرية تقع داخل المنطقة المجردة من السلاح، فقد نصت اتفاقية الهدنة على حمايتها. إلا أن السلطات الإسرائيلية نجحت في حمل جميع سكان قرى المنطقة المجردة من السلاح على الرحيل بحلول سنة 1956، وذلك باستخدام خليط من الضغط الاقتصادي والبوليسي. توجه معظمهم اللاجئين إلى سوريا، بينما توجه آخرون إلى قرية شعب القريبة من عكا. Zochrot. "السمرا". zochrot.org (بالإنجليزية). Archived from the original on 2018-05-14. Retrieved 2019-09-13.

إلحاد بيليد: المسألة في غاية البساطة. فالحرب بين شعبين. على كليهما الخروج من بيوتهم. **ليف توف:** إذا كان هناك بيت بالفعل، ألا يعني هذا أن لديهم مكاناً ليعودوا إليه؟ **إلحاد بيليد:** وقتها لم تكن الجيوش تكوّنت بعد، بل مجرد عصابات. في الحقيقة كنا نحن أيضاً عصابات. نخرج من البيت ثم ما نلبث أن نعود إليه. وهم أيضاً، يخرجون من البيت ثم يعودون إليه. إما أن تكون تلك بيوتنا أو بيوتهم. **ليف توف:** إذا فإن الهواجس وتأنيب الضمير منبعهما الجيل الجديد فحسب؟ **إلحاد بيليد:** نعم، جيل اليوم. عندما أجلس على كرسي هنا وأتأمل ما حدث، تخطر ببالي شتى الأفكار.

ليف توف: ألم تكن هذه حالك وقتها؟

إلحاد بيليد: حسناً، دعني أخبرك أمراً بغيضاً وقاسياً حول الغارة الكبيرة عن **قرية سعسع** (قرية فلسطينية في الجليل الأعلى). كان الهدف الفعلي هو ردعهم وإخبارهم التالي، "تستطيع البالماخ²¹ (سرايا الصاعقة التابعة لمنظمة الهاجاناه الصهيونية) الوصول لأي مكان، لستم محصنين". كان هذا هو قلب القرى العربية. لكن ماذا فعلنا؟ فجرت فصيلتي 20 بيتاً بكل ما فيه.

ليف توف: بينما كان الناس نياماً؟

إلحاد بيليد: "على ما أظن. ما حدث في تلك القرية هو أننا وصلنا للمكان ودخلنا القرية وزرعنا قنبلة بجوار كل بيت، ثم نفخ حومش²² في بوق، إذ لم يكن لدينا أجهزة لاسلكي، وكانت تلك هي الإشارة المتفق عليها للرحيل بين قواتنا. كنا نجري للخلف، وبقي المهندسون العسكريون، كانوا يفجرون القنابل يدوياً، كانت العملية كلها بدائية. كانوا يشعلون الفتيل أو يسحبون كبسولة التفجير ثم تختفي كل تلك البيوت."

وإليك فقرة أخرى، أرادت وزارة الدفاع حجبها، مصدرها هو حوار للدكتور ليف توف مع اللواء أبراهام تامير Avraham Tamir:

أبراهام تامير: "كنت تحت قيادة تشيراه Chera (اللواء تسفي تسور Tzvi Tzur الذي أصبح فيما بعد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي)، وكانت تجمعنا علاقة عمل رائعة. فقد منحتني حرية التصرف. كنت مسؤولاً عن أعمال الوحدات وسير العمليات في الوقت الذي صادف تطورين ناجمين عن سياسة رئيس الوزراء ديفيد بن غوريون. كان أحدهما عندما وصلت تقارير حول مسيرات اللاجئين من الأردن صوب القرى المهجورة في (إسرائيل). ومن ثم نصت سياسة بن غوريون على ضرورة هدم تلك القرى حتى لا يتبقى لأولئك المهاجرين مكان ليعودوا إليه. ويعني هذا هدم جميع القرى العربية أو معظمها، والتي كان جزء كبير منها يقع ضمن المنطقة المشمولة تحت القيادة المركزية".

21- البالماخ أو جند العاصفة، منظمة صهيونية عسكرية، لعبت دوراً مهماً في إقامة دولة إسرائيل، أدمجها بن غوريون ضمن قوات جيش الدفاع الإسرائيلي. وهو تنظيم عسكري مكون من تسع فرق، أنشئ في مايو/أيار 1941 عندما كانت قوات المحور تقترب من فلسطين. تلقى أفراد البالماخ تدريبات شاقة على أعمال النسف والتخريب والهجوم الصاعق لترويع السكان الفلسطينيين وإجبارهم على مغادرة مدنهم وقراهم والقيام بأعمال ضد قوات الانتداب البريطاني إذا وقعت عقبة أمام تحقيق المطامع الصهيونية في فلسطين.

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2014/12/22/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%AE>

22- حومش هو الراعي الديني الذي يبارك الحرب، وأنه يعلن أن النصر حليف اليهود.

ليف توف: "البيوت التي كانت لا تزال قائمة؟
أبراهام تامير: أقصد البيوت التي لم يكن سكنها إسرائيليون بعد. كانت لدينا قرى استقر فيها
إسرائيليون بالفعل، مثل زكريا وغيرها. لكن معظم القرى كانت لا تزال مهجورة .
ليف توف: وهل كانت البيوت في تلك القرى قائمة؟

**أبراهام تامير: كانت قائمة. كان من الضروري ألا يوجد مكان يعودون إليه، لذا
جمعت كتائب المهندسين في القيادة المركزية، وخلال 48 ساعة سويت كل تلك
القرى بالأرض. ولم يكن هناك مكان ليعودوا إليه.**

ليف توف: أتصور أنك فعلت ذلك دونما تردد .
أبراهام تامير: **نعم بلا تردد.** كانت تلك هي سياستنا وقتها. حشدت القوات وذهبنا إلى هناك
ونفذنا الأمر".

صناديق في الأقبية

يقع مركز "ياد يعاري للبحث والتوثيق" قبو تحت الأرض، وهو عبارة عن غرفة صغيرة
جيدة التأمين، أكوام من الصناديق التي تحتوي على وثائق سرية. يضم الأرشيف المستندات
الخاصة بحركة "هشومير هتسعير"²³ وحركة "كيبوتس هآرتسي" وحزب "مابام"
"وميرتيس" وغيرها من الكيانات، مثل منظمة "السلام الآن".

**"كشف يحييل حوريف، المسؤول السابق الذي أطلق المشروع ، إن الكشف عن أحداث
عام 48 قد يولد اضطرابات بين عرب إسرائيل".**

مدير الأرشيف هو دودو أميتاي Dudu Amitai، وهو أيضاً رئيس أرشيفات إسرائيل.
وكما أخبرنا أميتاي، فقد زار عناصر جهاز "مالماب" الأرشيف بانتظام بين عامي 2009
و2011. وقال العاملون في الأرشيف إن فرق إدارة الأمن هذه، كان يأتي عناصرها إلى
الأرشيف مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً. وكانوا يبحثون عن وثائق بحسب كلمات محورية
مثل "نووي"، "أمن"، "رقابة"، وقد خصصوا وقتاً طويلاً أيضاً "لحرب الاستقلال" (حرب
1948) ومصير القرى العربية في فترة ما قبل 1948.

يقول أميتاي، "في النهاية، سلمونا ملخصاً، قائلين إنهم حددوا عشرات الوثائق الحساسة. لا
نفصل عادة بين الملفات، لهذا نُقلت عشرات الملفات بأكملها إلى قبو الأرشيف وحذفت بياناتها
من الفهرس العام". قد يحتوي الملف الواحد على أكثر من 100 وثيقة.

23- أي الحارس الشاب Hashomer Hatzair، وهي منظمة عالمية للشبيبة الصهيونية، أقيمت بهدف تنشئة الشبيبة اليهودية. على حب أرض إسرائيل (فلسطين) والتطلع بالتالي
إلى الهجرة إليها. وكانت هذه المنظمة تأسست في غاليتسيا في بولندا بين عامي 1913، 1914، وضمّت في صفوفها حركات كشفية من هشومير وشبيبة صهيون. وجرى اتحاد بين
الحركتين تحت اسم واحد. وعقدت هذه المنظمة مؤتمرها الأول في العام 1924 في دانتزيغ في بولندا، وشارك فيه كافة أعضاء (هشومير هتسعير)، وأيضاً وفود من الكيبوتسات في
فلسطين. وأقر المؤتمر العالمي الثاني للمنظمة العام 1927 ضرورة الهجرة إلى فلسطين والانضمام إلى حياة الكيبوتس من منطلق الواجب القومي. حصل انشقاق في المؤتمر الثالث
(1930) في صفوف المنظمة على يد مجموعة الأعضاء الروس واللواتانيين وآخرين، وهؤلاء انضموا إلى حركة (الكيبوتس الموحد) وحزب (مباي) (حزب عمال أرض إسرائيل)،
واعلن المنشقون أنهم يرون الحياة الكيبوتسية أساساً لعمل المنظمة في فلسطين. <https://www.madarceneter.org/>

يتناول أحد الملفات المغلقة، ما كانت تفعله الحكومة العسكرية التي تحكمت في حياة المواطنين العرب في إسرائيل بين عامي 1948 و1966. ظلت الوثائق مخزنة في القبو لأعوام، ولم يتمكن الباحثون من الوصول إليها. لكن راهناً، وإثر طلب من البروفيسور غادي الغازي Gadi Algazi، وهو مؤرخ من جامعة تل أبيب، بالاطلاع على أحد الملفات، فحص أميتاي الملف بنفسه ورأى أنه لا سبب يمنعهم من إعادة الملف للأرشيف وإتاحته للجميع، بغض النظر عن رأي عناصر جهاز الماب.

وبحسب الغازي فقد تكون هناك أسباب وراء قرار جهاز الماب في الإبقاء على الملف سرياً. أحدها له علاقة بملحق سري لتقرير من اللجنة التي فحصت ما قامت به الحكومة العسكرية. يتناول التقرير بشكلٍ شبيه كامل معارك ملكية الأراضي بين الدولة والمواطنين العرب، وبالكاد يتطرق إلى المسائل الأمنية.

الاحتمال الآخر هو تقرير عام 1958 الصادر عن اللجنة الوزارية التي أشرفت على الحكومة العسكرية. في أحد ملاحق التقرير السرية، قال العقيد مشائيل شاحام Mishael Shaham، الضابط البارز في الحكومة العسكرية، يوضح أن أحد أسباب عدم تفكيك جهاز الأحكام العرفية هو الحاجة إلى تقييد وصول المواطنين العرب إلى سوق العمل ومنع إعادة إنشاء القرى المدمرة.

التفسير الثالث المحتمل لإخفاء الملف، يخص شهادة تاريخية سابقة غير منشورة عن ترحيل البدو. فقبل تأسيس إسرائيل، عاش حوالي 100 ألف بدوي في صحراء النقب، وبعدها بثلاث سنوات، قلَّ عددهم إلى 13 ألفاً. وخلال حرب 1948 والسنوات التالية، نُفذت عمليات ترحيل في جنوب البلاد. في واحدة من الحالات، أبلغ المراقبون التابعون للأمم المتحدة أن إسرائيل طردت 400 بدوي من قبيلة العزازمة، واستشهدوا بإفاداتٍ عن إحراق الخيام. يصف الخطاب الذي ظهر في الملف السري عملية ترحيل مشابهة حدثت عام 1956، وجاء فيه حسبما ذكر عالم الجيولوجيا أبراهام بارنز Avraham Parnes:

“قبل شهرٍ مضى زرنا **وادي الرمان** (أجران الرمان وهي فوهة بركانية قديمة). أتى إلينا بدو منطقة “مُحيلة (Mohila) ” مع ماشيتهم وعائلاتهم وطلبوا منا تناول الطعام معهم. قلتُ إن لدينا الكثير من العمل وإنما لا نملك وقتاً. وخلال زيارتنا هذا الأسبوع، توجهنا إلى المنطقة مرة أخرى، لكن بدلاً من أصوات البدو وماشيتهم، كان الصمت مخيماً. وكانت أعداداً كبيرة من الجمال الميتة مبعثرة في المنطقة. عرفنا بعدها أن جيش الدفاع الإسرائيلي “عبثوا مع البدو” قبل مجيئنا بثلاثة أيام، وقتلوا ماشيتهم؛ أطلق الرصاص على الجمال، وألقيت القنابل على الماعز. اشتكى واحد من البدو فقتل، وهرب الباقون.”

وتابع أبراهام بارنز شهادته: “قبل ذلك بأسبوعين، أمروا بالبقاء في أماكنهم في الوقت الراهن، وبعدها أمروا بالرحيل، ومن أجل إسراع العملية، ذبحوا 500 رأس من الماشية... نُفذت عملية الترحيل “بكفاءة”. ثم اقتبس الخطاب ما قاله أحد الجنود لبارنز، وفقاً لشهادته فإنهم،

“لم يكونوا ليرحلوا إلا إذا قتلنا ماشيتهم. اقتربت منا فتاة صغيرة تبلغ 16 سنة تقريباً، وكانت ترتدي قلادة بأفاعي نحاسية. مزقنا القلادة وأخذ كل واحدٍ منا حبة خرز على سبيل التذكار”.

أرسل الخطاب في بادئ الأمر إلى عضو الكنيست يعقوب أوري Yaakov Uri، عضو حزب ماباي (سلف حزب العمال)، الذي مرره إلى وزير التنمية، مردخاي بنتوف Mordechai Bentov (من حزب مابام). كتب أوري إلى بنتوف، “لقد صدمني خطابه”. ووزع بنتوف الخطاب على جميع الوزراء، وكتب معلقاً، “أرى أنه ليس في إمكان الحكومة أن تتجاهل الحقائق المذكورة في الخطاب”. وأضاف بنتوف أنه في ضوء المضمون المروّع للخطاب، فقد طلب من خبراء الأمن التحقق من صدقيته. وأثبتوا له أن محتواه “يتطابق بالفعل مع الحقيقة”.

عذر نووي

كان ذلك خلال تولي المؤرخ توفيا فريلينغ Tuvia Friling منصب كبير موظفي الأرشيف، من عام 2001 إلى 2004، عندما شرع جهاز المالماب في أول غاراته على الأرشيف. وبمرور الوقت، صار ما بدأ بكونه عملية لمنع تسرب الأسرار النووية، حسبما قال، مشروعاً رقابياً واسع النطاق.

يقول فريلينغ، “استقلتُ بعدها بثلاثة أعوام، وكانت هذه من بين أسباب استقالتي”، ويضيف، “التصنيف السري الذي وضع على وثيقة حول هجرة العرب عام 1948، هو بالضبط مثال على ما كنتُ متخوفاً منه. إذ إن نظام الأرشيف والتخزين الوثائقي ليس من أذرع العلاقات العامة للدولة. إن كان هناك شيء لا يعجبك، حسناً، هكذا سنة الحياة. والمجتمع السليم يتعلم من أخطائه أيضاً”.

إذاً لماذا سمح فريلينغ لوزارة الدفاع بالوصول إلى الأرشيف؟ السبب كما يقول، كان نيته في تمكين الجمهور من الوصول إلى المواد المحفوظة من خلال الشابكة (الإنترنت). وفي المناقشات حول تداعيات تحويل المواد إلى وثائق رقمية، تبين القلق من أن الإشارات في الوثائق إلى “موضوع معين”، ستُنشر للجمهور من طريق الخطأ. والمقصود بالموضوع بالطبع هو المشروع النووي لإسرائيل. ويصر فريلينغ على أن السلطة الوحيدة التي حُولت لجهاز المالماب كانت البحث عن وثائق متعلقة بهذا الموضوع.

لكن نشاط جهاز المالماب ليس إلا مثلاً واحداً على مشكلة أكبر، كما يذكر فريلينغ، “في عام 1998، انتهت مدة حظر أقدم الوثائق في جهازي الشاباك والموساد. ولأعوامٍ، بدا جلياً أن هاتين المؤسستين لا تحترمان رئيس الأرشيف. وعندما توليتُ أنا المنصب، طلبا أن يتم تمديد حالة السرية لجميع المواد، لتكون 70 عاماً بدلاً من 50، وهو طلبٌ سخيف، إذ كان بالإمكان الاطلاع على معظم هذه المواد”. وفي عام 2010، مُدّدت فترة السرية إلى 70 عاماً، وفي شباط/فبراير الماضي (2019)، مُدّدت مرة أخرى إلى

90 عاماً، وذلك على رغم معارضة المجلس الأعلى للأرشييف. يقول فريلينغ: "قد تفرض الدولة السرية على بعض وثائقها". السؤال هو ما إذا كانت قضية الأمن لا تعمل كغطاء. في كثير من الحالات، أصبح الأمر مزحة بالفعل".

يرى دودو أميتاي من مركز ياد يعاري الثقافي ضرورة الطعن في السرية المفروضة من جانب وزارة الدفاع. يقول إن إحدى الوثائق الموضوعة في الخزينة، خلال فترة توليه رئاسة الأرشييف، تضمنت أمراً صادر من جنرال في جيش الدفاع، خلال هدنة حرب الاستقلال. وكان الأمر أن يمتنع جنوده عن أعمال النهب والاعتصام. ينوي أميتاي الآن مراجعة الوثائق التي أودعت في الخزائن، وبخاصة تلك التي تتعلق بحرب 1948، وإتاحة كل ما يُمكن للنشر والاطلاع. "سنفعل ذلك بحذر ومسؤولية، ولكن مع الاعتراف بأن دولة إسرائيل يجب أن تتعلم كيفية التعامل مع الجوانب الأقل متعة في تاريخها".

على عكس مركز ياد يعاري الثقافي، حيث لم يعد موظفو الوزارة يزورونه، بل يواصلون الاطلاع على الوثائق في ياد تابينكين Yad Tabenkin، وهو مركز البحث والتوثيق لحركة الكيبوتس الموحدة. توصل المشرف أهارون عزاتي Aharon Azati إلى اتفاق مع فرق الماب يتم بموجبه نقل الوثائق إلى الخزينة فقط إذا اقتنع بأن ذلك مبرر. لكن في ياد تابينكين، أيضاً، وسعت مالماب بحثها إلى ما وراء نطاق المشروع النووي لتشمل المقابلات التي أجراها موظفو الأرشييف مع أعضاء سابقين في البلماح²⁴، واطلعت حتى على مواد حول تاريخ المستوطنات في الأراضي المحتلة.

أظهر مالماب، على سبيل المثال، اهتماماً بكتاب باللغة العبرية "عقد من التكتّم: سياسة الاستيطان في الأراضي 1967-1977"، الذي نشره ياد تابينكين في عام 1992، وكتبه يحنيل آدموني Yehiel Admoni، مدير دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية. خلال العقد الذي كتب عنه. **يذكر الكتاب خطة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في غور الأردن واقتلاع 1540 عائلة بدوية من منطقة رفح في قطاع غزة عام 1972**، بما في ذلك عملية تضمنت إغلاق الآبار من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي. ومن المفارقات، في حالة البدو، اقتبس آدموني من وزير العدل السابق يعقوب شمشون شابييرا Yaakov Shimshon Shapira قوله: "ليس من الضروري توسيع المنطق الأمني أكثر من اللازم. إن حوادث البدو بأكملها ليست فصلاً مجيداً لدولة إسرائيل". وبحسب عزاتي، "نحن نتجه بشكل متزايد إلى تشديد تراتبية الأولويات. على الرغم من أن هذا عصر الانفتاح والشفافية، يبدو أن هناك قوى تتحرك في الاتجاه المعاكس".

ملفات سرّية ممنوع الاطلاع عليها

24- تأسس البلماح في 15 مايو/أيار 1941، وتوسع حتى النكبة عام 1948 إلى ثلاث ألوية قتالية بالإضافة إلى وحدات جوية وبحرية واستخباراتية. يعد البلماح، أي السرايا الصاعقة، القوة المجنّدة المتحركة التابعة للمنظمة الصهيونية الهاجاناه، والجيش غير الرسمي للمستوطنات اليهودية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين. ساهم في قتل وتعذيب وتشريد واضطهاد الآلاف الفلسطينيين، ونفذ عمليات إرهابية وتفجيرات أودت بحياة الآلاف منهم. <https://alassas.net/9170>

منذ نحو عام (2018)، كتبت المستشارة القانونية "لأرشيف الدولة"، نعومي ألدوبي Naomi Aldouby، مقال رأي تحت عنوان "الملفات المغلقة في الأرشيف العام غير المُصرَّح بالاطلاع عليها". ووفقاً لها، فإن سياسة الوصول إلى المحفوظات العامة هي الاختصاص الحصري لمدير كل مؤسسة أرشيفية.

على الرغم من رأي ألدوبي، إلا أنه في الغالبية العظمى من الحالات، لم يقدم أمناء المحفوظات الذين واجهوا قرارات غير معقولة من قبل مالما ب اعتراضات - أي حتى عام 2014 ، عندما وصل أفراد وزارة الدفاع إلى أرشيف مركز هاري ترومان البحثي التابع للجامعة العبرية في القدس. أثار دهشتهم رفض مدير المركز آنذاك مناحيم بلوندهايم Menahem Blondheim، طلبهم فحص الأرشيف الذي يحتوي على مجموعة من الوثائق الخاصة بوزير الخارجية الإسرائيلية الأسبق آبا إيبان Abba Eban، والرئيس الأسبق لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية "أمان" الجنرال شلومو غازيت Shlomo Gazit.

وفقاً لرواية بلوندهايم، "أخبرتهم أن تلك الوثائق المعنية ترجع لعقود مضت، وما كنت أتصور أن هناك أي مشكلة أمنية تبرر تقييد وصول الباحثين إليها. رداً على ذلك، قالوا (لنفترض أن ثمة شهادة هنا تشير إلى أن الأبار قد سُمّمت خلال حرب الاستقلال)، فأجبتهم (حسناً، في تلك الحال، لا بد من تقديم هؤلاء الأشخاص للمحاكمة."

أدى رفض بلوندهايم إلى عقد اجتماع مع مسؤول رفيع المستوى في الوزارة، بيد أن السلوك الذي واجهه اختلف هذه المرة؛ إذ وُجِّهت إليه تهديدات صريحة، إلى أن توصل الطرفان في النهاية إلى تسوية.

"3 حالات اغتصاب، واحدة شرق صغد لفتاة في الرابعة عشرة من عمرها، وقتل أربعة رجال بالرصاص. أحد القتلى قطعوا أصابعه بسكين لأخذ الخواتم".

لم يتفاجأ بيني موريس من نشاط جهاز مالما ب، وقال "كنت على علم بذلك، وإن لم يكن بصورة رسمية، إذ لم يخبرني أحد صراحةً بذلك؛ غير أنني أدركت الأمر عندما اكتشفت أن الوثائق التي تمكنت من الاطلاع عليها في الماضي لم يعد من الممكن الوصول إليها الآن. كانت هناك وثائق من أرشيف قوات الدفاع الإسرائيلية، استعنت بها أثناء كتابة مقال عن دير ياسين، ولكن لم يعد بالإمكان الآن الوصول إليها بالطرائق العادية. فعندما وصلت إلى الأرشيف، لم يعد يُسمح لي برؤية النسخة الأصلية، لذلك أشرت في حاشية [المقالة] إلى أن مشرفين على أرشيف يرفضوا الوصول إلى الوثائق التي نشرتها قبل 15 عاماً".

لا تُمثّل قضية جهاز مالما ب سوى مثال واحد على المعركة الملحمية للوصول إلى الأرشيف في إسرائيل. فوفقاً لما قاله ليور يافني Lior Yavne، المدير التنفيذي لمعهد أكيفوت لأبحاث الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، "لا يُمكن الوصول إلى أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي،

الذي يُعتبر أكبر أرشيف في إسرائيل، إذ إنه محكم الإغلاق. لا تشكّل المواد التي يُمكن الاطلاع عليها فيه سوى 1 % من محتواه. أما أرشيف جهاز الأمن العام الإسرائيلي "شاباك"، الذي يحتوي على مواد في غاية الأهمية للباحثين، فهو مغلق تماماً، باستثناء مجموعة قليلة من الوثائق".

يشير تقرير كتبه يعقوب لوزويك Yaacov Lozowick، وهو كان كبير موظفي أرشيف الدولة السابق، إلى إحكام مؤسسة الدفاع قبضتها على مواد الأرشيف في البلاد. وذكر في هذا التقرير أنه "لا ينبغي على الدول الديمقراطية إخفاء المعلومات، لأنها تخشى تعرضها للإحراج جراء ذلك. إلا أنه في واقع الأمر، تتدخل المؤسسة الأمنية في إسرائيل، وإلى حد ما بالمؤسسات المعنية بالعلاقات الخارجية أيضاً، في المناقشات العامة".

قدم المدافعون عن ضرورة إخفاء الوثائق عدة حجج، يلاحظ لوزويك: "إن كشف الحقائق يمكن أن يوفر لأعدائنا ضربة قاصمة لنا ويضعف عزيمة أصدقائنا. من شأنها أن تثير غضب السكان العرب. يمكن أن تضعف حجج الدولة في المحاكم الدولية؛ وما يتم الكشف عنه يمكن تفسيره على أنه جرائم حرب إسرائيلية". لكنه يقول: "يجب رفض كل هذه الحجج. هذه محاولة لإخفاء جزء من الحقيقة التاريخية من أجل بناء نسخة أكثر ملاءمة".

ماذا يقول مالما ب

كان يحنيل حوريف هو المسؤول عن الحفاظ على أسرار المؤسسة الأمنية لأكثر من عقدين. فقد ترأس إدارة القسم الأمني في وزارة الدفاع بين عامي 1986 و2007، وظلّ بعيداً عن الأضواء بطبيعة الحال. يُحسب له أنه وافق الآن على الحديث بصراحة إلى صحيفة "هآرتس" حول مشروع الأرشيف.

قال حوريف: "لا أتذكر متى بدأ الأمر، لكنني أعرف أنني بدأت. وإن لم أكن مخطئاً، أعتقد أن المشروع بدأ عندما أراد بعض الأشخاص نشر وثائق من الأرشيف. وكان علينا تشكيل فرق لفحص جميع المواد الصادرة".

صحيفة "هآرتس": من المحادثات التي جرت مع مديري الأرشيف، يتضح أن كثيراً من الوثائق التي فُرضت عليها السرية تتعلق "بحرب الاستقلال" (هي النكبة العربية الفلسطينية- مركز الانطلاقة للدراسات). فهل يُمكن اعتبار أن إخفاء أحداث 1948 جزء من أهداف تأسيس جهاز مالما ب؟

يحنيل حوريف: ماذا تعني بقولك جزءاً من الأهداف؟ لقد تمثّل هدف المشروع في فحص الوثائق استناداً إلى نهج يقوم على تقدير ما إذا كان نشر هذه الوثائق سيُلحق أضراراً بالعلاقات الخارجية الإسرائيلية والمؤسسة الدفاعية. هذه هي المعايير. وأعتقد أنها لا تزال قائمة حتى اليوم؛ إذ لم يتحقق السلام منذ 1948. وربما أكون مخطئاً، ولكن على حد علمي لم يُحلّ الصراع العربي- الإسرائيلي بعد. لذا نعم، قد تظل هناك مواضيع إشكالية قائمة.

صحيفة “هآرتس”: وعندما سُئل عن كيف يُمكن أن تُمثل هذه الوثائق إشكالية، تحدث حوريف عن إمكان إثارة الفتنة بين المواطنين العرب في البلاد. فمن وجهة نظره، يجب الاطلاع بعناية على جميع الوثائق والبتّ في كل حالة على أساس حثيائتها.

صحيفة “هآرتس”: إذا لم تكن أحداث 1948 معروفة، يمكننا أن نتجادل حول ما إذا كان هذا النهج صحيحاً. وليست هذه هي الحال. فقد ظهرت شهادات ودراسات عن تاريخ قضية اللاجئين. فما الفائدة من الحرص على إخفاء تلك المعلومات؟

يحنيل حوريف: السؤال هو ما إذا كان يمكن لهذه المعلومات أن تسبب ضرراً أم لا. إنها مسألة بالغة الحساسية. البعض يقول إنه لم يكن هناك هروب على الإطلاق، بل تعرضوا للطرْد والترحيل. بينما يقول آخرون إنهم أتاحت لهم الفرصة للهروب. تتسم الأمور في هذه الفترة بالكثير من الغموض. علاوةً على أن هناك فرقاً كبيراً بين الهروب وادّعاء الطرد والترحيل القسريّ. فكلاهما يشير إلى صورة مغايرة تماماً. ولا أستطيع أن أحكم الآن ما إذا كانت تلك الوثائق تستحق السرية التامة، لكنه موضوع يجب أن يُناقش بالتأكيد قبل اتخاذ قرار حول ما يُمكن نشره.

صحيفة “هآرتس”: لسنوات، فرضت وزارة الدفاع السرية على وثيقة مُفصّلة تصف أسباب رحيل أولئك الذين أصبحوا لاجئين. وقد كتب بيني موريس بالفعل عن تلك الوثيقة، إذاً ما هو المنطق في إبقائها سرية؟

يحنيل حوريف: أنا لا أتذكر الوثيقة التي تشيرين إليها، ولكن لو أنه اقتبس منها ولم تكن الوثيقة نفسها موجودة أي أنّ موريس يدّعي أنها موجودة، إذاً فالحقائق التي يُقدمها ليست قوية. ولكنه إذا قال نعم، لدي الوثيقة، فلا أستطيع الجدل في ذلك. ولكن إذا قال إن تلك المعلومات مكتوبة هناك، فيمكن أن يكون ذلك صحيحاً أو لا. إذا كانت الوثيقة المُعلّق عليها في الأرشيف، مُتاحة بالفعل في خارجه، فإنني سأقول إنّ ذلك حماقة. ولكن إذا اقتبس شخص ما منها— فهناك فرق واضح فيما يتعلّق بصحة الأدلة التي استشهد بها.

صحيفة “هآرتس”: في هذه الحالة، نحن نتحدث عن أهم الباحثين الذين يُشار إليهم فيما يتعلق بقضية اللاجئين الفلسطينيين.

يحنيل حوريف: قولك إنه باحث لا يترك لدي أي انبهار. فأنا أعرف كثيرين من الأوساط الأكاديمية يتحدثون في موضوعات لا يفقهون عنها شيئاً، بينما أعرفها أنا تمام المعرفة. عندما تفرض الدولة السرية على بعض الوثائق، يُضعف ذلك صحة الأعمال المنشورة، لأن الباحث في تلك الحالة لا يمتلك المستندات التي تدعم مزاعمه.

صحيفة “هآرتس”: لكن أليس إخفاء الوثائق استناداً إلى الملاحظات الواردة في الهوامش في الكتب، تعتبر محاولة لإغلاق باب الحظيرة بعدما هربت الخيول؟

يحنيل حوريف: أعطيتك مثلاً بأن هذه ليست الحالة بالضرورة. إذا كتب شخص ما أن الحصان لونه أسود، إذا لم يكن الحصان بالفعل خارج الحظيرة، لا يمكنك إثبات أن لونه أسود حقاً.

صحيفة "هآرتس": ثمة بعض الآراء القانونية التي تُشير إلى أن النشاط الذي يقوم به جهاز مالماب فيما يتعلق بالأرشيف غير قانوني وغير مسموح به.

يحنيل حوريف: إذا عرفتُ أن الأرشيف يحتوي على مواد سرية، فأنا مخوّل لإخبار الشرطة للذهاب إلى هناك ومصادرة تلك المواد، ويُمكنني أيضاً اللجوء إلى القضاء. أنا لست بحاجة إلى إذن من أمين الأرشيف. إذا كانت هناك مواد سرية، فلديّ سلطة التصرف. ينبغي إدراك أن هناك سياسة خاصة تتحكم في الأمر. فهذه الوثائق ليست مغلقة من دون سبب. وعلى رغم ذلك، لن أدعي أن أسباب إبقاء جميع هذه الوثائق في إطار السرية هي أسباب صحيحة 100%.

في حين رفضت وزارة الدفاع الرد على أسئلة محددة بشأن نتائج هذا التقرير الاستقصائي، واكتفت بالرد التالي "يعمل مدير الأمن في مؤسسة الدفاع بحكم مسؤوليته لحماية أسرار الدولة وأصولها الأمنية. ولا يُقدّم جهاز مالماب تفاصيل عن طريقة نشاطه أو مهماته".

انتهى